أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام

يصف التماثل التكويني للتربة والإنسان والنبات
كما جاء في القرآن الكريم وما أقره العلم الحديث

المدرس الدكتور
عباس صبر سروان الوطيفي
جامعة القاسم الخضراء - كلية الزراعة

أمير المؤمنين الأمام علي عليه السلام يصف التماثل التكويني للتربة والإنسان والنبات كما جاء في القرآن الكريم وما أقره العلم الحديث

المدرس الدكتور
عباس صبر سروان الوطيفي
جامعة القاسم الخضراء ـ كلية الزراعة

المقدمة:

يمكن تعريف التماثل التكويني على أنه الأسس التي تشابهت بها المخلوقات الحية وغير الحية من أصل واحد كمادة أم (parent material) نشأت منها بقدرة الخالق عز وجل، ومدى ارتباطها بعلاقات تعايشية في الحياة الدنيا، وما آلت إليه الأحداث بالرجوع إلى أصل تلك المادة على وفق مشيئة الله سبحانه وتعالى. وعليه فقد تجلت حكمته في مخلوقاته الحية وغير الحية منها التربة والإنسان والنبات ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ (الروم:٢٠) التي امتزجت مع الماء لينتج عنهما سلالة من طين كمادة أصل ينشأ منها الإنسان بقدرة الله العزيز الجليل ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (المؤمنون:١٢) (الوطيفي،٢٠٠٧a)، فضلا عن الآيات القرآنية الكريمة الأخرى التي أشارت إلى ذلك التماثل التكويني منها ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (نوح:١٧).

إن أسرار حكمة الخالق عز وجل ونفوذه الحكيم والإبداعي في التنظيم، وما عجزت عنه علوم المعارف في الأصل والمتشابهة قد تجسدت على أرضية الواقع من خلال الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء والمرسلين، أبرزها القرآن الكريم الذي سبق العلماء في تفسيره للحقائق والشواهد العلمية بأكثر

من ١٤٠٠سنة ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الزمر:٢٧) بلسان عربي فصيح ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت:٣)، تكريما لهذه الأمة العربية وأصالة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآله من بعده عليهم أفضل الصلاة والسلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة:٧)، لاسيما أمير المؤمنين الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام ليكشف في كتابه المسطور نهج البلاغة عن حقيقة ما جاء به كتاب الله العلي القدير ورسوله الأمين من أبعاد سياسية واجتماعية وأخلاقية تصف الاتزان البيئي بين تلك المخلوقات على أثر التعايش السلمي وتبادل المنفعة المادية والمعنوية في ما بينها إلى نهاية مطاف حياة الدنيا. وهذا ما أكدته العلوم المعرفية التي أفصحت عن الكثير من هذه الحقائق والشواهد العلمية في واقعنا وما يحتويه بات واضحا لدى العديد من الباحثين أن ذلك الاتزان بين كافة صور الحياة في الطبيعة لن يأتي اعتباطا، وإنما يعد نتيجة لأسباب منطقية تبين جلالة الله سبحانه وتعالى ومعجزاته في الإبداع التكويني، ليقف العالم البشري بأكمله صاغرا وحامدا له على قدرته التي وسعت كل شيء ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأحقاف:٤). ولأجل ذلك فقد توجهت الدراسة الحالية بتحقيق الأهداف الآتية:

١- دراسة الصفات التكوينية للتربة والإنسان والنبات من وجهة النظر القرآنية يعكس حقائقها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بكلامه المذكور في نهج البلاغة وما بينته العلوم المعرفية.

٢- دراسة أصل العلاقة التكوينية بين التربة والإنسان والنبات، وما آلت إليه من نتائج على أرضية الواقع بحكمة الخالق عز وجل في قرآنه

الحكيم ليتجلى ذلك كله في شخصية أمير المؤمنين علي بن طالب عليه السلام، لاسيما تلك العلاقة التكوينية التي يقر بها العلم الحديث في الآونة الأخيرة.

٣- النتائج والمناقشة

التماثل التكويني للتربة والإنسان وما أقره العلم الحديث بين القرآن الكريم ونهج البلاغة:

جدول (١) يبين العناصر الغذائية على وفق نسب وجودها في جسم الإنسان، وهي ذاتها في مادة الخلق التربة التي نشأ منها نبينا آدم عليه السلام. مما تشير هذه النتائج إلى حالة التماثل في التكوين والتعايش بين هذين المخلوقين عند البناء والتغذية. إذ إن العناصر تنتقل من تربة الأرض إلى جسم الإنسان بما يتناوله من الأطعمة سواء أكانت نباتية أم حيوانية، وتعاد مرة أخرى إلى التربة من خلال نشاطات وفعاليات الإنسان والكائنات الحية الأخرى كمادة عضوية غنية بمعظم تلك العناصر الغذائية (مصيقر،١٩٩٩).

إن القرآن الكريم في محكم آياته أكد مادة أصل الإنسان هي التربة ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (الكهف:٣٧)، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (فاطر:١١). وغيرها من الآيات الكريمة التي تؤكد ذلك (الوطيفي،٢٠٠٧b). فلو تتبعت حالة الإنسان بعد موته فيما يؤول إليه جسده فإنه يحتوي على مواد تعرف بالأجسام الحالة (lysosomes) على شكل حويصلات داخل هيولي الخلايا الجسمية تتحرر بعد الموت عندما يتحلل الغلاف المحيط بها أولا. بعد ذلك تقوم بإعادة المادة التي كونت الخلايا الجسمية إلى مادة أولية بسيطة بمساعدة الأحياء الدقيقة المحللة والمتواجدة في الهواء الجوي الخارجي وفي

التربة، إضافة إلى الحشرات التي تقتات على بنية الإنسان الجسدية، فتقوم بتحويل ذلك إلى مواد نتروجينية بسيطة تعد مادة التكوين الأساسية والأولية السائدة على وجه الأرض، وإحدى مركباتها التي بدورها تزود التربة بالعناصر الغذائية المختلفة من ضمنها النتروجين (الرفاعي،٢٠٠٢).

في ما يخص الإسناد الفقهي والعلمي لأهل بيت النبوة الصادقة صلى الله عليهم وسلم فقد أشار نبينا محمد إلى العلاقة التكوينية بين التربة والإنسان حينما قال((أن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها لجميع الأرض فجاءوا بنو آدم على قدر الأرض منهم الأسود والأبيض، ومنهم الخبيث والطيب)) وغيرها من الصفات المتضادة بالمعروف والمنكر نتيجة لتعدد مصادر الطينة التي ضربت كيانهم حتى ظهرت تلك الصفات السائدة(نوفل،٢٠٠١). وقد أكد ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما وصف نبينا آدم عليه السلام، ومن بعده الإنسان في نهج البلاغة بثلاث أجزاء أساسية كما هي مبينة نتائجها في الشكل(١): الجزء الأول يعكس المراحل المادية في بداية أمر التكوين على وفق ما جاء به القرآن الكريم في محكم آياته.

الجدول (١)

العناصر الغذائية مرتبة على وفق نسب وجودها في جسم الإنسان (عبد الجبار، ١٩٨٥)

العناصر	نسب وجودها في جسم الإنسان(%)	العناصر	نسب وجودها في جسم الإنسان(%)
الأوكسجين	٦٣.٠٣	الكبريت	٠.١٤
الكربون	٢٠.٢٠	البوتاسيوم	٠.١١
الهيدروجين	٩.٩٠	الصوديوم	٠.١٠
النتروجين	٢.٥٠	المغنيسيوم	٠.٠٧
الكالسيوم	٢.٤٥	الحديد	٠.٠١
الفسفور	١.٠١	اليود	ضئيلة
الكلور	٠.١٦	السيلكون	=
الفلور	٠.١٤	المنغنيز	=

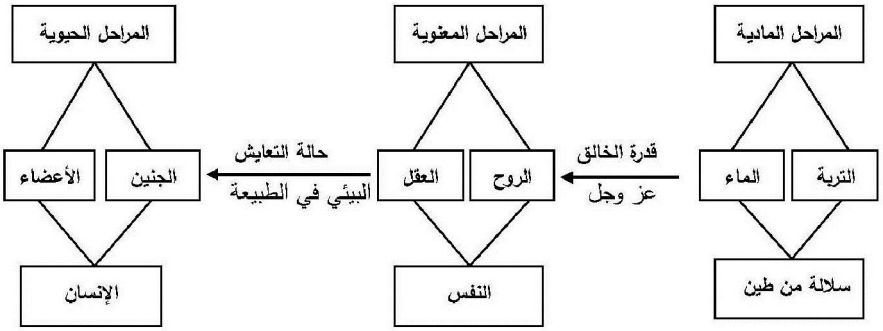

الشكل(١)
أهم المراحل التي يمر بها بنوا البشر من بداية الخلق إلى حالة التعايش البيئي في الطبيعة من خلال ما توصلت إليه نتائج الدراسة الحالية

إذ قال عليه السلام في الجزء الأول من كلامه ((ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وسبخها. تربة سنها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت. فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول. أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت. لوقت معدود وأمد معلوم)). مما يشير إلى كل ما تحتويه الأرض وسهولها من حبيبات مختلفة في الشكل الحجم والتركيب التي تدعى بمفصولات التربة منها الخشن ومنها الناعم ومنها ما يشبه ذلك. وكذلك إلى كل ما تحتويه من الماء العذب والمالح وباختلاف الأجزاء التي جبل منها الإنسان على انه مركب من طباع مختلفة فيها استعداد للخير والشر والحسن والقبيح. ففي الأرض ما هو سهل منبسط تطيب النفس لرؤيته وما هو حزن بطبيعته فان النفوس تبعا لذلك (التقي،١٩٨٥).، وربما يفسر الحزن على انه الأرض الوعرة الغليظة التي يشق فيها السير لما فيها من صخور وأحجار وعقبات. مما لاشك أن العلاقة واضحة بين حال تلك الأرض وحال ما يقابلها من نفوس خشنة غليظة يعاني منها الناس ألوانا من شراسة الطبع وسوء المعاملة، وما يقال عن السهل والحزن يقال عن الطيب والخبيث. وعندما صب الماء على التربة حتى أصبحت طينة خالصة لدنة بعدها عجنت

لكي تتداخل فيما بينها لتصبح متجانسة وشبه صلبة مطاطية (لها القابلية على المطاوعة واللدانة). وفي ضوء ذلك أشار أمير المؤمنين بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام إلى أن الله تبارك وتعالى بعث جبرائيل عليه السلام أن يأتيه من أديم الأرض بأربع طينات بيضاء وسوداء وحمراء وغبراء وكذلك من سهلها وحزنها ثم أمره أن يأتي بأربع مياه عذب ومالح ومر ومنتن ليفرغه في تلك الطينات، فجعل الماء العذب في فمه ليسوغ له أكل الطعام وجعل الماء المالح في عينه لإبقاء شحمتها محتفظة بخصائصها طيلة العمر، وإما الماء المر جعله في الأذنين لئلا تهجم الهوام على الدماغ. في حين الماء المنتن جعله في فمه للحيلولة دون دخول الحشرات إليه. وبعد تلك المكونات الفعالة شاء الله جل جلاله أن يكون منها صورة ذات انحناء وهو كل ما فيه من اعوجاج في البدن للجوانب الهيكلية مطلقا متصلة مع بعضها بوساطة الأنسجة الحيوية تضم أجهزة متعددة الأشكال والوظائف. إذ إن هذه الصورة التي جبلت قد تركت فترة من الزمن لكي تجمد وتصلد لدرجة أن تكون يابسة لها رنين أو صلصلة محضرة ومهيأة لأن ينفخ فيها العزيز الجليل من روحه لتتجسد فيها القوى العقلية والمدارك الإنسانية.

بينما في الجزء الثاني من كلامه المذكور بين عليه السلام المراحل المعنوية التي تجسدت في مادة أصل التكوين المتمثلة بالتربة لنبينا آدم عليه السلام، مع ذكر الصفات الحسية والإدراكية والجسدية للإنسان ((ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنسانا ذا أذهان يجيلها. وفكر يتصرف بها، وجوارح يختدمها وأدوات يقلبها. ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل والأذواق والمشام والألوان والأجناس. معجونا بطينة الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة. والأضداد المتعادية والأخلاط المتباينة من الحر والبرد، والبلة والجمود. واستأدى الله سبحانه وتعالى الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيته إليهم في الأذقان بالسجود له والخشوع....))

(عبده،١٩٧١). أي إن هذه الصورة الجميلة التي سوف تبقى محفوظة إلى يوم القيامة أكرمها الله سبحانه وتعالى حينما نفخ فيها من روحه. إذ جاء كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الجزء الثاني منسجما مع العديد من الآيات القرآنية التي تؤيد بأنه القرآن الناطق منها ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (السجدة:٩) لتتجسد فيها معنى الإنسانية وبالعقل الذي خلقه من نور مخزون مكنون في سابق علمه الذي لم يطلع عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (آل عمران:٢٦). وهذا يعني أن كل ما أتيتموه من العلم ومهما كثر قاصر عن أدراك سر الروح التي تحمل في الجسم لتدب الحياة فيه فيعقل ويفكر. لذلك فأنها خارجة من المجال المادي إلى مجال لا يعلمه إلا الله عز وجل، وبذلك يصبح العقل جوهر أدراك وعلة الموجودات ونهاية المطالب لا يحمل إلا العلم والفهم روحه والزهد رأسه والحياء عينه والحكمة لسانه والرأفة همه والرحمة قلبه، ثم حشاه وقواه العزيز الجليل بعشرة أشياء باليقين والأيمان والصدق والسكينة والإخلاص والرفق والعطية والقنوع والتسليم والشكر. وإن الأذهان التي تجيلها القوى العقلية المؤلفة من الروح التي سبق ذكرها والفكر الذي هو قوة مودعة في الإنسان توجب العلم بما يراد وبها أمتاز عن سائر المخلوقات. إذ إن التفكر هو أعمال تلك القوة التي وردت في القرآن الكريم والسنة الشريفة والاهتمام الكبير بها لكونها من أعظم ودائع الله جل جلاله في هذا المخلوق كما بينها الحديث النبوي الشريف: (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة). بعدها تأتي قوة الإدراك التي هي ليس بمادة يفرزها الدماغ البشري، بل هي وجودات ذهنية تعبر عن شكل أرقى من شكل الوجود المادي. فالمعاني والأفكار والقصود والإرادة هي قمة أشكال الصور الذهنية وألوان من الوجود لا تنساخ المادة في وجودها ولا يمكن ضبطها بالوسائل المادية، وما

يضبط منها هو أثارها وردود الفعل المادية التي تنشأ عادة عنها، مما تمنح العقل مراجعة ذاتية عاجلة خلال المواقف الإنسانية بالعامل الروحي الذي يحوي تلك الصور الذهنية ويطل عليها لابد أن يكون جهاز الروح. أما قوة المعرفة فهي مستوى البلوغ الذي يدركه الإنسان بما يعقله من موجودات ويعلم مدى قوة تفكيره واستعماله للعقل واستخدامه للحس والإدراك في المعرفة. إذ تبنى على منهج اليقين الذي أصله الذهن والذهنيات التي ورائها واقعيات خارجية ليصبح الإنسان قادر وفقا لما جهزه ضميره من أدوات المعرفة.

أما الجزء الثالث فقد وضح فيه عليه السلام المراحل الحيوية لخلق الإنسان((أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام وشغف الأستار، نطفة دهاقا وعلقة محاقا، وجنينا وراضعا، ووليدا ويافعا. ثم منحه قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا....))(عبده، ١٩٧١). وعلى غرار ما جاءت به الآية القرآنية ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (الزمر:٦). إذ إن الخلايا المضغية عندما تمر بعدة أطوار ينتج عنها ما يسمى بالخلايا المغذية التي تأخذ على عاتقها تأمين الغذاء والهواء لحصول الحمل، بعد ذلك يتشكل منها ملحقات الجنين منها الأغشية الثلاثة التي تحيط ببعضها، وهي من الداخل إلى الخارج كما يأتي:

١- الغشاء الأمينوسي: يحيط بالجوف الأمينوسي المملوء بالسائل الأمينوسي الذي يسبح فيه الجنين حرا.

٢- الغشاء الكوريوني: تصدر عنه الزغبات الكوريونية التي تنغرس في مخاطية الرحم.

٣- الغشاء الساقط: عبارة عن مخاطية الرحم السطحية بعد عملية

التعشيش ونمو محصول الحمل. وسمي بالساقط لأنه يسقط مع الجنين عند الولادة.

وهذه الأغشية الثلاث ما هي إلا تصوير واقعي للظلمة المحيطة بالجنين، كما وأن عملية الخلق تتم على أطوار متلاحقة داخل هذه الظلمات الثلاث(طبارة،١٩٦٦). وهذا ما أشارت إليه الآية القرآنية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج:٥) التي بينت تكون الإنسان أول خلقه من نطفة بعدها تتحور إلى علقة ومنها إلى مضغة، لينفخ فيها من روح الله. إذ تتم هذه الأطوار في رحم الأنثى وبين كل طور وطور بضعة أسابيع. وهذه الفترة يسيرة إذا ما قورنت بالحساب الزمني لعمر الكون الذي خلقه الله جل شأنه (الجميلي،١٩٨٢). وقد بين مصطفي وزين العابدين(١٩٨٥) أن التربة ما هي إلا نتاج عمليات التجوية والتعرية التي تعمل على تفتت وتحلل صخور سابقة التكوين(النارية والمتحولة والرسوبية). إذ إنها تعد مادة الأصل في تكوين التربة عند الزمن صفر تتألف جميعها من عناصر معدنية مختلفة التركيب والبناء الذري تتحد مع بعضها مكونة المعادن ذات اللبنة الأساسية في تشكيل تلك الصخور والتربة. كذلك الحال بالنسبة للكروموسومات الحاملة للجينات التي ينشأ منها الإنسان فإنها تتكون أساسا من البروتينات ذات العناصر الخمسة(الكربون والهيدروجين والنتروجين والأوكسجين والكبريت)(تقو،١٩٨٠). وهي من المكونات الطيارة البالغة الأهمية في الصهير الصخري الذي يعد الأصل في تكوين صخور القشرة

الأرضية(حسن وآخرون،١٩٩٠). تؤكد هذه المؤشرات حصيلة التماثل التكويني بين التربة والإنسان في الأصل والتكوين كما بينتها الآية القرآنية الكريمة ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه:٥٥)، وما أكده أمير المؤمنين الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام حينما قال((أيها المخلوق السوى، والمنشأ المرعى في ظلمات الأرحام، ومضاعفات الأستار. بدأت من سلالة من طين، ووضعت في قرار مكين، إلى قدر معلوم وأجل مقسوم. تمور في بطن أمك جنينا لا تحير دعاء ولا تسمع نداء. ثم أخرجت من مقرك إلى دار لم تشهدها، ولم تعرف سبل منافعها. فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أمك، وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك وإرادتك. هيهات إن من يعجز عن صفات الهيئة والأدوات فهو عن صفات خالقه أعجز. ومن تناوله بحدود المخلوقين أبعد))(عبده،١٩٧١).

التماثل التكويني للإنسان والنبات في القرآن الكريم ونهج البلاغة وما أقره العلم الحديث:

لقد خلق الله عز وجل الإنسان من حمإ مسنون في صورة جبلة بروتوبلازمية من البروتين ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر:٢٦)، ثم ألقى بها في قاع المحيط الخلوي ليتشكل بشرا سويا. فالماء يدخل في تركيبه كما هو الحال في الكائنات الحية الأخرى، وبدونه يموت الإنسان وينفق الحيوان ويذوي النبات ليمحل وجه الأرض من العمران(الجميلي،١٩٨٢). إذ إن الماء يساعد على سيولة الدم وكمذيب للطعام في جسم الإنسان والحيوان، ويسهم في إذابة وتحلل العناصر الغذائية بشكل أيونات يمتصها النبات لإكمال متطلبات النمو وإنتاج المحصول لإعادة الدورة الغذائية من جديد وتحقيق الاتزان البيئي بين تلك المخلوقات(سرحان،٢٠٠٢). وهذا ما أكده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله((وأنشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق، والربيع المغدق،

والنبات المونق. سحا وابلا تحي به ما قد مات، وترد به ما قد فات. اللهم سقينا منك محيية مروية، تامة عامة، طيبة مباركة، هنيئة مريعة. زاكيا نبتها، ثامرا فرعها، ناضرا ورقها، تنعش بها الضعيف من عبادك وتحي بها الميت من بلادك. اللهم سقيا منك تعشب بها نجادنا وتجري بها وهادنا، ويخصب بها جنابنا، وتقبل بها ثمارنا، وتعيش بها مواشينا، وتندى بها أقاصينا وتستعين بها ضواحينا. من بركاتك الواسعة، وعطاياك الجزيلة على بريتك المرملة، ووحشك المهملة. وأنزل علينا سماء مخضلة مدرارا هاطلة. يدافع الودق منها الودق، ويحفز القطر منه القطر غير خلب برقها)) (عبده،١٩٧١). فلو تأملت بقول أينشتاين الفيزيائي أن الخيال أهم من المعرفة، وهو لا يقلل من أهمية المعرفة بل يريد أن يبرز أهمية الخيال الواسع الذي ينتج عنه التأمل والتفكير (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة) (حديث نبوي: محمد،٢٠٠٣) في الالتفاف حول ما لا نستطيع أن ندركه بحواسنا التي أتضح أنها بدائية بالنسبة لكون بلا حدود وعالم من الذرات متناهي الصغر، فإن الغشاء الخلوي الذي يحيط بمكونات الخلية ويحفظ محتوياتها من الضياع، ويقيم لها حدودا سواء أكان في الإنسان أم الحيوان أو النبات هو ذاته يحتوي على طبقتين من الليبيد(دهون) المطرز بالفسفور يدخل في تركيبه جزيئات دهنية وكربوهيدراتية وبروتينية، وبه بوابات تسمح بمرور الغذاء والماء والأوكسجين والأيونات، فضلا عن الرسائل من والى داخل الخلية عن طريق المستقبلات(receptors) الموجودة فوق سطحه. وهذه المستقبلات التي تعلو سطح الخلية تقوم بوظائف ليست فقط مهمة بل يتوقف عليها مصير الخلية وبالتالي مصير الكائن الحي كله، وكذلك تقوم بدور مهم في تأمين الاتصال الداخلي بأجهزة الخلية المختلفة في السايتوبلازم عندما تأتي أي إشارة كانت كهربائية أو كيميائية من خلال التحامها بالمستقبل الخاص بها. ويمتد هذا الاتصال في تسلسل مدهش حتى يدخل إلى ثقوب جدار النواة مؤمنا اتصاله مع المادة الوراثية أو الجينوم الذي يسمى بجزيء الحامض النووي الرايبي منقوص

الأوكسجين (DNA) (الجمل،٢٠٠٢ والحامدي،٢٠٠٧). كما أشار الباحث نفسه إلى أن قراءة وفك الشفرات الوراثية تتم داخل الرايبوسومات التي تتكون من ٦٠٪DNA و٤٠٪ بروتين. فبمجرد وصول الرسالة من قبل الحامض النووي المراسل(mRNA) إلى السايتوبلازم يلتقفها الحامض النووي الرايبي الرايبوسومي(rRNA)، ويكون الحامض النووي الناقل(tRNA) قد حمل الرايبوسوم لبنات البناء وهي الأحماض الأمينية المنتشرة في حساء السايتوبلازم وغيرها من الجسيمات الدقيقة التي تقوم بوظائف متعددة وعجيبة غريبة في عالم الكائن الحي بقدرة الخالق عز وجل ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يس:٣٦). ولابد الإشارة هنا إلى أن العزيز الجليل جعل سمة خاصة في النبات تختلف عن باقي الكائنات الحية الأخرى، أهمها عملية بناء التركيب الضوئي (النجار،٢٠٠٦). وذلك لإتمام عملية التغذية وتوفير الطاقة اللازمة لمزاولة فعالياته ذاتيا دون الرجوع إلى عمليات الخدمة الزراعية من قبل الإنسان الذي بدوره استمد غذائه في بداية أمر خروجه من الجنة إلى حياة الدنيا عن طريق النخلة التي خلقت من فاضل طينة نبينا آدم عليه السلام، كما أشار إليها نبينا محمد صلى الله عليه وآله ((وأكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من فاضل طينة أبيكم آدم)) (كاشف الغطاء،١٩٧٥).

ومن خلال ما تقدم إن هنالك علاقة وطيدة بين الإنسان والنبات من الناحية التكوينية ووظيفة كل منها تجاه الأخر لأجل تحيق الاتزان البيئي في الطبيعة ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ (الحجر:١٩).

التماثل التكويني للتربة والنبات في القرآن الكريم وما أقره نهج البلاغة ليعكسه العلم الحديث:

هذه حقائق تمت بقدرة الخالق عز وجل ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ

يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان:٢) لم يدركها الإنسان إلا في العقود الماضية القليلة من خلال العمليات المعقدة التي كونت تربة الأرض بشكل قطع متجاورات من غلافها الصخري وعلى اختلاف صخوره النارية والمتحولة والرسوبية التي تفتت وتحللت عبر ملايين السنين بفعل عوامل التجوية الطبيعية والكيميائية والإحيائية الناتجة عن الغلاف الجوي والمائي والإحيائي لكوكبنا الأرضي ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (الحجر:٢٢). إذ إن الغلاف الجوي يوفر الحرارة والهواء يعملان على إحداث تغيرات في محتويات الغلاف المائي مكونتا غازات وأبخرة تتجمع على أثر الرياح الصاعدة التي تحمل في طياتها شحنات كهربائية تولد مجال مغناطيسي يقوم بدور مهم في تحويل بخار الماء إلى قطرات دقيقة تكبر شيئا فشيئا مكونة الأمطار التي تعد إحدى العوامل الرئيسة للغلاف الجوي والمؤثرة في مكونات الغلاف الصخري، مما ينتج عن ذلك المواد الفتاتية المتمثلة بالرسوبيات والتربة (الحسن،١٩٩٠ والخطيب،٢٠٠٦). وبفعل الظروف والعوامل البيئية السائدة تنتعش كافة صور الحياة ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد:٤). وهذا ما أيدته النظرية التكتونية الحديثة التي تنص على أن سطح الأرض مغلف بعدد ثابت من الألواح المحيطية والقارية ذات السمك الدقيق نسبيا(١٠٠-١٥٠كم). إذ قسمت القشرة الأرضية إلى ستة ألواح كبيرة وأخرى صغيرة على وفق خرائط توزيع الزلازل. وإن هذه الألواح تفصلها حدود بناءة تبتعد فيها الألواح عن بعضها، وحدود هدامة تقترب فيها الألواح، وأخرى حدود محافظة تنزلق فيها الألواح أفقيا وباتجاهين متضادين(أحمد،١٩٨٦ وحسن وآخرون،١٩٩٠).

إن العناصر الداخلة في تركيب التربة هي ذاتها موجودة في الكائن الحي النباتي، لذا فان خصوبة التربة تعني قدرة التربة على إمداد النبات بالعناصر الغذائية لإكمال متطلبات نموه وإنتاجيته(النعيمي،١٩٩٩). وعليه فأن عمليات التفتت والتحلل الناتجة عن الظروف البيئية السائدة في الغلاف المائي والجوي تعمل على فقدان بعض المواد القاعدية الداخلة في مكونات الغلاف الصخري القابلة للذوبان من جانب، ومن جانب أخر تقدم في الوقت نفسه طرق أخرى للمحافظة على هذه المواد من خلال تكوينها للمعادن الطينية والغرويات العضوية والأكاسيد التي لها القدرة العالية على التثبيت وامتزاز الأيونات وتبادلها مع محلول التربة والنبات كي تجعله في طور النمو وإعداد الطاقة الغذائية اللازمة للإنسان وبقية الكائنات الحية، التي تعاد مرة أخرى إلى التربة كمادة عضوية نباتية كانت أو حيوانية بعد موت تلك المخلوقات(الشكل،٢). لذا فان مجموعة المواد التي يتركب منها جسم الإنسان كما هي مبينة في الجدول(٢) تؤلف جزءا أساسيا في التركيب البنائي للنبات، كذلك تحتويها غرويات التربة المتمثلة بالمعادن الطينية والمادة العضوية والأكاسيد بهيئة عناصر وأيونات معدنية تعد من الأطوار الصلبة الهامة في التربة لما تمتلكها من مساحة سطحية نوعية وسعة تبادلية للأيونات الموجبة عاليتين تعكسان عمليات التبادل والتحرر الأيوني بين محلول التربة الغروي والنبات (الخطيب،٢٠٠٦).

بات من الواضح أن التربة وليدة المخلوقين الإنسان والنبات بغض النظر عن الكائنات الأخرى بمشيئة الباري عز وجل ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ (نوح:١٧و١٨)، وما بينه أمير المؤمنين الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام حينما قال((اللهم رب السقف المرفوع، والجو المكفوف الذي جعلته مغيضا لليل والنهار، ومجري للشمس والقمر، ومختلفا للنجوم السيارة. وجعلت سكانه سبطا من ملائكيك لا يسأمون من عبادتك.

ورب هذه الأرض التي جعلتها قرارا للأنام ومدرجا للهوام والأنعام، وما لا يحصى مما يرى ومما لا يرى. ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتادا، وللخلق اعتمادا)) (عبده،١٩٧٠)، فسبحان الله الحي القيوم ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الروم:١٩) الذي خلق الأحياء من المواد الأولية الميتة التي أوجدها مع بدء خلقه للكون وبث فيها الروح.

جدول(٢)

التركيب التقريبي للجسم من مجموع العناصر الغذائي (Alpers et al,1988)

مجموعة العناصر الغذائية	متوسط النسبة المئوية(%)	المدى(%)
ماء	٦٠	٦٥-٥٥
بروتين	١٦	١٧-١٥
دهن	٢٠	٢٠-١٣
رماد	٤	٥.٨-٣.٥
كربوهيدرات	١	١.٥-٠.٧
فيتامينات	توجد في الجسم ولكن لا تشكل نسبة مئوية نظرا لصغر كميتها	

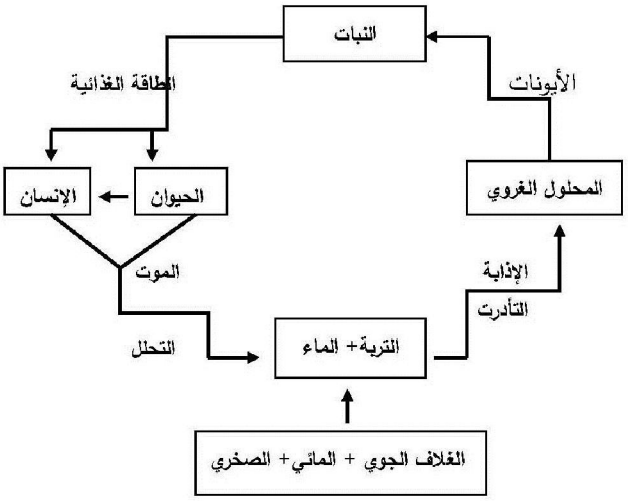

الشكل(٢)

حالة التعايش والاتزان البيئي التي تمر بها كل من هذه المخلوقات الحية وغير الحية في الطبيعة على وفق ما توصلت إليه نتائج الدراسة الحالية

وبعد ذلك تصبح كائنات حية تعود مرة أخرى بعد الموت إلى تلك المواد الأولية التي بدء خلقه منها ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٤).

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات:

١- إن التماثل التكويني للمخلوقات الحية وغير الحية قيد الدراسة الحالية تجسد في القرآن الكريم من خلال ما أفصحت عنه علوم أهل بيت النبوة الصادقة عليهم السلام من جانب. وأكدته العلوم المعرفية لدى العديد من الباحثين من جانب آخر.

٢- بينت الدراسة أن هنالك علاقة وطيدة بين التربة والإنسان والنبات في معظم الخصائص الفيزيائية والكيميائية والإحيائية، لاسيما في أحاديث وأقوال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآله الطيبين الطاهرين منهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصف نبينا آدم عليه السلام.

٣- حالة الاتزان البيئي تتأثر بدرجة رئيسة في نشاط وفعاليات المخلوقات الحية وغير الحية قيد الدراسة.

التوصيات:

١- دراسة الخصائص الفيزيائية والكيميائية والإحيائية غير التي بينتها الدراسة الحالية للتربة والإنسان والنبات، وما هي أوجه التشابه والاختلاف فيما بينها.

٢- دراسة خصائص المعادن الطينية في التربة، لأجل معرفة أوجه التشابه والاختلاف بين مكونات الإنسان المادية التي بينها القرآن الكريم أن الإنسان أصله الطين.

٣- دراسة عناصر التغذية النباتية التي مصدرها الأساسي التربة ومقارنتها مع المكونات العنصرية للمعادن الطينية التي لا يتقبلها جسم الإنسان كتغذية على أثر التنافر اللإرادي بين الإنسان والطين على الرغم من أصل واحد.

المستخلص

تناولت هذه الدراسة البحث عن حقائق تمت بقدرة الخالق عز وجل في مخلوقاته الحية وغير الحية منها التربة والإنسان والنبات، وماهية أوجه التشابه والاختلاف في ما بينها، واصل ما تكونت منها هذه المخلوقات كما بينها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة الذي يعد مفتاح علم القرآن الحكيم في محكم آياته الكريمة. إذ إنهما لا يفترقا في وصف كافة الحقائق والشواهد العلمية التي تجسدت على أرض الواقع منها خصائص فيزيائية وكيميائية وإحيائية تربط تلك المخلوقات في ما بينها على وفق الاتزان البيئي وحالة التعايش، فضلا عن تبادل المنفعة الذاتية. وهذا ما أكدته العلوم المعرفية لدى العديد من الباحثين أن العناصر الغذائية الموجودة في التربة هي ذاتها في الإنسان والنبات، فضلا عن تركيب الخلية البانية لجسم الإنسان والنبات، وبالرجوع إلى أصلها التربة عند الموت يتم فيها تحلل هذه الأجسام البالية وإعادتها إلى مواد نتروجينية تعد اصل كل مادة في الكون.

Abstract

This study showed the facts had completing by Creator in his creatures and in animates which included soil, human and plant, and what the similarity and difference between them.

Holy Quran showed the origin of these creatures. As the sciences of household of prophecy that express them, which showed interrelation between them in physical, chemical and biological properties, according to environmental balance and living state. So knowing sciences ensured at many researchers that nutritious elements which found in soil are self them found in human and plants. As well as the similarity in most structure cell for plants and human bodies, when these turn back into soil during the death. Thereby would decay to nitrogen substances which had been the origin of every matter on universe.

قائمة المصادر والمراجع

أ. العربية:

القرآن الكريم.

- **أحمد؛ تلفان عناد**،١٩٨٦، علم المحيطات، جامعة البصرة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
- **التقي؛ عز الدين عبد الحسين جواد**،١٩٨٥،خلق الإنسان في القرآن الكريم،المكتبة المركزية، حلة، بابل، رقم الكتاب(٢٢٠/٨٢).
- **الجمل؛ عبد الباسط**،٢٠٠٢، الله يتجلى في عصر الهندسة الوراثية، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، الظاهر.
- **الجميلي؛ السيد**،١٩٨٢، الأعجاز الطبي في القرآن الكريم، مكتبة التحرير، القاهرة، مصر.
- **الحامدي؛ خالد**، ٢٠٠٧، الخلية الجذعية، ثورة جديدة في عالم الطب، دار الأحمدي للنشر، القاهرة.
- **الحسن؛ كاظم ناصر**،١٩٩٠، فلسفة الخليقة، مطبعة سلمى الفنية الحديثة، بغداد، العراق.

- **الخطيب؛ السيد احمد**، ٢٠٠٦،أساسيات علم الأراضي، كلية الزراعة، جامعة الإسكندرية.

- **الرفاعي؛ عبد السلام**، ٢٠٠٢، خلق الإنسان، موسوعة أهل البيت الكونية، المجلد الخامس، بيروت، لبنان.

- **النجار؛ زغلول**، ٢٠٠٦، النبات في القرآن الكريم، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، مكتبة الشروق الدولية.

- **النعيمي؛ سعد الله نجم عبد الله**،١٩٩٩، الأسمدة وخصوبة التربة، جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

- **الوطيفي؛ عباس صبر سروان**،٢٠٠٧a، ماهية التربة في القرآن الكريم وأثرها في خلق الإنسان، مجلة بابل للعلوم الإنسانية، العدد(١٥٠)، كلية التربية، بحث(١-١٢) صفحة.

- **الوطيفي؛ عباس صبر سروان**،٢٠٠٧b، الله يتجلى في مخلوقاته التربة والإنسان والنبات من خلال علوم القرآن الكريم، المؤتمر السنوي لجامعة بابل، العلوم متداخلة الاختصاصات الدور والوظيفة والمستقبل، مجلة بابل، العدد١، المجلد١٦.

- **تقو؛ عز الدين عبد الحسين**، ١٩٨٠، آراء في الحياة والتطور العضوي، مطبعة الحوادث، بغداد.

- **حسن؛ محمد يوسف وعمر حسين شريف وعدنان باقر النقاش**،١٩٩٠،أساسيات علم الجيولوجيا، مركز الكتب الأردني.

- **سرحان؛ الدمرداش عبد المجيد**،٢٠٠٢، الله يتجلى في عصر العلم، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع.

- **طبارة؛ عفيف عبد الفتاح**،١٩٦٦، روح الدين الإسلامي،الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، دمشق.

- **عبد الجبار؛ شاكر**،١٩٨٥، القرآن يفك لغز الأرض،الطبعة الأولى، المكتبة الوطنية، بغداد.

- **عبده؛ الشيخ محمد**،١٩٧١، نهج البلاغة، الجزء الأول، دار الأنوار، بيروت،لبنان صفحة (٢٠-٢٧).

- **كاشف الغطاء؛ محمد حسين**،١٩٧٥،الأرض والتربة الحسينية،الطبعة الرابعة،مطبعة النشر والتأليف، النجف.

- **محمد؛ السيد حسين نجيب**،٢٠٠٣، جمال السالكين العالم الرباني السيد عبد الأعلى السبزواري، صفحة (١٢٧-١٣١).

- **مصيقر؛ عبد الرحمن**،١٩٩٩، الغذاء والتغذية، الكتاب الطبي الجامعي،منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط.

- **نوفل؛ عبد الرزاق**،٢٠٠١، القرآن الكريم والعلم الحديث، المكتبة المركزية، الحلة،ب ابل، رقم الكتاب(٥٥/٢٢٠).

ب. الأجنبية:

- **Alpers, D.H. Clouse, R.E and W.F. Stenson**.1988. Manual of nutritional thera peutics 2nd Little, Brown and company.